3- نقد رواية: « طريق الشّمس» للقاص: د. عبدالمجيد زراقط.

بقلم الأستاذ الباحث عماد نبيه خليل

إعلامي: معد ومقدّم برنامج فكري ونقدي» إشكاليّات» إذاعة صوت الشعب اللبنانية.

كاتب في صحف ومجلات

Imad. Nabih @gmail.com

ندوة نقديّة : صور – مركز باسل الأسد الثّقافي:

في 2 تمّوز 2022 الخامسة عصراً

المتخيّل في الرّؤية الرّوائيّة يرمز إلى المعيش في المسار الواقعي، إذ، يشكّل الفضاء الواسع لمجريات الأحداث في قالب روائي، يأخذ الأبعاد الأدبيّة والفنّيّة، ويجسّد المسارات المعيشة في أنماط رؤيوية يحكيها الرّواة، وتنسجها التّقنيّات الّتي من شأنها أن تصنع المشهد، وتظهره لينقل الوقائع من ثباتها رحى الأفكار المتحرّكة في دائرة الزّمن.

إنّ الرّواية تكشف عن لغة الحياة، وما رواية» طريق الشّمس» للقاص الرّوائي والنّاقد د. عبد المجيد زراقط سوى نبض حقبة زمنيّة أثرت المشهديّة اللبنانية بالحلم، والخيبات، والاحتلال، والصّراع، والخيانة، والعمالة للعدو، والمقاومة، لكن، لا يقاس العمل الرّوائي من منظور الحكاية في القالب السّردي كقصة تروى، وتنقل، بل، يتجسّد العمق الرّوائي في فلسفة البنية المتكاملة، سيّما النّصّ الأدبيّ الّذي يرفد القصص حياة، ويتوغّل في المضامين رؤى، وإبداعًا، فالنّص الأدبيّ هو المحور، وفيه (النّص) كما عبّر «لوسيان غولدمان» عن وعي إدراك النّصّ:» لا شيء سوى النّصّ، وأن تبحث في داخله عن بنية شاملة ذات دلالة».

لذا، أطرق باب رواية «طريق الشّمس» من دلالة العنوان، لأنّه يرمز إلى لغة الحياة، فهل تستمرّ مشهديّة الكون حين تزيح الشّمس عن مسارها؟ وهل الطّريق إلى الشّمس في الدّلالة العلميّة سوى الاشتعال الّذي يجعل المساحات فكرة لا يقدّرها العدّ الآلي، بل هي مخاطرة تؤدي إلى الهلاك؟ فكيف جعلها الحبيبان (كمال ومنى) في الرّواية طريق حياة، وعشق، وهل العشق مفطور على الاشتعال الّذي يؤدّي إلى أسئلة مصيريّة تحتّمها

الضّبابيّة في ولوج النّهايات المرجوّة؟ من النّاحية الفنيّة الإبداعيّة تشير إلى ذائقة أدبيّة، لكن في متن هذه الرّواية تأخذ الشّمس جدليّة الصّراع المريرة في وطن تمثّله قرية حدوديّة في الرّواية على تخوم الوطن الضّحية «فلسطين» والمدينة «بيروت» العاصمة الموغلة في صناعة التّاريخ، مرورًا بأسماء الأمكنة الّتي تقدّم رؤيتها في البنية الرّوائيّة، تأخذ تصوّرات عميقة، لأنّها ارتبطت بالطّريق، وهل الطريق تؤدّي دائمًا إلى العبور الصّحيح؟ هل الطّريق واحدة أم تتعدّد أشكال الطّرق في المنحنيات، والمنعرجات، والدّوائر، هذا، يعني، أنّ طريق الرّواية لبلوغ الحقيقة « الشّمس» مملوءة بالتّعب، والمتعرّجات، حيث العشق يتمرّد لكي يزداد اشتعالًا في الحبّ، وفي الرّوح الوطنيّة يتوّج الطريق فعل الانتصار والمقاومة:» يا عدوّ الشّمس» مع الشّاعر سميح القاسم.

نحن أمام رواية واقعيّة وإن أوحى الكاتب إلى الفعل المتخيّل الّذي ينبثق من الواقع، أشار الكاتب زراقط: «الرّواية بنية أدبيّة مخيّلة تصدر عن مرجع واقعي» و»المرجع الواقعي يتمثّل في بنية متخيّلة على مستوى الأحداث والشّخصيّات».

السّرد «هو نقل الحادثة من صورتها الواقعيّة إلى صورتها اللّغويّة» أمّا السّرد بمعنى الكلام فهو تشكيل الأحداث تشكيلًا جماليًّا من منظور يختار منها ما يقيم به بنية سرديّة متخيّلة تنطق برؤية المنظور الّذي تمّ تشكيلها منه» ف «السّرد هو اللّغة الّتي تصنع منه الكلام».

إذًا، الرّواية تقصّ قصّة الواقع اللّبناني في الآونة التّاريخيّة المحدّدة منذ العام 1968 في قرية حدوديّة في لبنان الجنوبي، وتنقل تجربة اليسار وبدايات المقاومة اللبنانية في إثر الاجتياح الصّهيوني في آذار في العام 1973، حيث الأحداث تدور بين قرية جنوبية حدوديّة وبيروت، ولهذا الأثر الكبير في تحديد طبيعة المرحلة، وصورة الصّراع المحلّي، والإقليمي، والدّولي، من خلال تقديم قصّة حبّ بين الشّخصيّتين الرّئيستين في الرّواية: كمال ومنى، شخصيّتان ينتميان إلى الحبّ وإلى طريق العشق، طريق الشّمس، ليردم الكاتب «زراقط» فكرة العبث في لعبة الطّوائف اللّبنانيّة، حيث الانتماء الطّائفي يختلف بين كمال ومنى، وكأنّ قدر الرّواية اللّبنانيّة أن تؤكّد المؤكّد وإن حاولت دائمًا أن تنحو نحو انتصار الإنسانيّة في المتخيّل على حساب الواقع الّذي أفسد الطّبيعة اللّبنانيّة، وفي رواية «طريق الشّمس» اختار الكاتب طريق الحب والعشق، اختار الشّمس مصدر البقاء على لسان أبطال روايته.

« طريق الشّمس» في الطّبعة الأولى، الصّادرة عن دار البيان العربي في العام 2022، رواية تختزن قضايا على صلة بالواقع اللّبناني والصّراع من النّواحي كافّة، وتشير إلى الظّروف والعادات الّتي كانت سائدة في الذّهنيّة اللّبنانيّة قبل الاجتياح، وما نتج في ما بعد من تداعيات حملها الاحتلال على الحياة الاجتماعية، والفكريّة، سيّما التّربية والعلم، حيث السّقوط المدّوي جاء في الرّواية من قبل تربوي في مدرسة لبنانيّة وفي قرية حدوديّة.(شخصيّة سرحان ذيب).

انطلاقًا من التّصدير الّذي يشكّل «عتبة من عتبات الرّواية كما يعبّر الدكتور عبدالمجيد زراقط، نلمس فضاءات رواية» طريق الشّمس» وننفذ إلى أغوار البنى الّتي تريد أن تقدّمها الأحداث في طريق الأشواك والأشواق، وفي الكشف الحقيقي عن الحقيقة.

في الإهداء:» رجائي ألّا يستوحشوا طريق الحقّ وإن قلّ سالكوها» ص5، وفي البدء ص9 مع أقوال مأثورة ل: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وجلال الدّين الرّومي، وجبران خليل جبران، حيث الطريق والحقيقة وانبثاق الفجر يشكلون محور التّصدير لعمل روائي جدير بالقراءة، ناهيك عن تصدير جاء في متن الرواية على شكل حوار بين كمال ومنى حول: «ماذا بعد؟

شوق وشوق ما يساويان؟

العشق.

ما لعشق؟»

أسئلة مفتوحة على رواية حبلى بالإشكاليّات.

تدور أحداث الرّواية في قرية حدوديّة جنوبيّة، قرية تعيش يوميّاتها في ظلّ طبيعة النّظام السّياسي القائم في لبنان، وفي ظلّ مرحلة تاريخيّة عصيبة على صعيد الصّراع العربي – الصّهيوني حيث النّكسة المدويّة في العام 1967 ، ممّا بدا المشهد اللّبناني أمام متغيّر جديد، وانطلق العمل الفدائي الفلسطيني في نشاط عسكري بعد اتفاق «القاهرة» في تلك الآونة التّاريخيّة عاش الجنوبيّون والمحرومون قدر الإهمال، ووضعهم قبالة مصير غير معلوم، إضافة إلى اشتداد الصّراع بين اليمين واليسار اللبنانيين، ضرب التّجربة الشّهابيّة من قبل طبقة سياسية لبنانيّة، دور المخابرات، بروز المكتب الثّاني، تدخلات العدو، والمخابرات، أصبح الملعب اللّبناني مشرّعًا على كلّ الاحتمالات و الفوضى.

على غرار الأديب جرجي زيدان، حذا الكاتب عبدالمجيد زراقط، وإن كان العمل التّاريخي هو هدف جرجي زيدان، لكنّه حمّل مضمون أعماله قصص الحب، والعشق، والخيانة، مع عبدالمجيد زراقط، وظّف التّاريخ لخدمة العمل الفنّي في الرّواية، وترك قصّة الحب من قبل أبطال رواية» طريق الشّمس» تروي الوقائع، والظّروف، ضمن الجماليّة في الأدب. وفي هذا المضمار انحاز الروائي زراقط إلى ما خطّه النّاقد الروائي الكبير د. عبدالملك مرتاض في مقولته:» فإنّ الأعمال الرّوائيّة والسّرديّة بوجه عام، لا تتناقض مع الحقيقة التّاريخيّة، وإنّما العيب كل العيب، أن نتكلّف نشدان التّاريخ في الرّواية بشكل يزدجي بعض الروائيين والنقاد التقليديين معًا، أن يعدوا الرواية وثيقة من وثائق التّاريخ، وشاهدًا صادقًا من شهود العصر، وهو موقف ساذج لتمثّل وظيفة الأدب بالاجتفي ربطها بالتاريخ». (مبحث إشكالي).

في هذه الظروف، وتحت وطأة المعطيات الّتي ذكرت، يرتبط كمال ومنى في علاقة حب، ويرتبطان بتجربة شخصيّة في إطار مشروع مشترك يحمل الطّابع الشّخصي والوطني، ويحدّدان الطّريق.

غير أنّ هذه الطريق معقّدة، يعترّضها سيل من المشكلات: الإقطاع السّياسي، الفساد المستمر في طبيعة الحكم، واقع المدرسة، المخابرات، وغير ذلك مما جاء في متن الرواية، لكنّهما يستمران على الرغم من كل الاعتراضات، وذهبا إلى تحقيق مشروعهما، لكنّ الحرب اللّبنانيّة قضت على الحلم، وعلى رؤية اليسار اللبناني في مشروعه التّغييري.

طبعًا، الرّواية تروي قصصًا عديدة على لسان شخصيّات الرّواية، وكلّ قصّة تؤرّخ لفترة زمنيّة تاريخيّة: مثال: شخصيّة أبي جميل تحكي حكاية المختار الّذي قتل الضّابط المستبدّ التّركي، وكذلك، علي الحاج يوسف الشّيخ يروي قصّة النّبي الّذي قاوم الصّليبيين.

القصص الواردة في هذه الرواية تحديدًا بعد خروج كمال من قريته على أثر الاجتياح، تتّخذ مرجعيّتها من الواقع المعيوش، لتشكّل مرجعيّة تأثيريّة في بنية العمل الأدبي، وكما قال النّاقد عبدالمجيد زراقط في تصنيف روايات» جواد صيداوي» حول نوع قصصه:» هو نوع تكون بنيته الرّوائية متخيّلة تتخذ مادتّها الأوليّة من الوقائع السّيريّة، التي يحكم المنظور الروائي اختيارها من وقائع السّيرة ونظمها في بنية روائية تنطق برؤية هذا المنظور إلى العالم وقضاياه، وتمتلك فاعليّة جماليّة دلاليّة» هذا ينطبق على قصص

الشخصيات في رواية «طريق الشّمس».

رواية «طريق الشّمس» تعرض للثنائيات والتّضاد في الواقع اللبناني: الازدهار والحرمان، الخيانة والمقاومة، البسطاء والطبقة السياسية الحاكمة الظالمة، هي رواية الكشف عن فضاءات : تاريخيّة وفكرية، ووطنية، في ظلّ مرحلة زخرت بالمؤتمرات الدولية والعربية.

بنية الرّواية:

في المنهج أقدّم مسألة خلافيّة عند النّقّاد، وإن كان المنهج بات ضرورة في العمل الأدبي، الروائي ذاته قال عن روايته أنّها تخضع للبنية التّجريبيّة، وتحمل هذه البنيّة الطّابع الدّائري، لكن، هل تكتفي البنية بهما، أرى أنّ رواية«طريق الشّمس» متعدّدة البنى، والمناهج، فالمناهج: الاجتماعي، والتّاريخي، والنّقدي، تحمل بصماتها في هذه الرواية.

لم تبدأ الرّواية من مقدّمة أوّليّة، أو من بداية رسمت أفق صعودها، إنّما جاءت البداية من حادثة شكّلت عصب العمل الرّوائي، والّذي سبق الخاتمة، يخرج كمال السّاهر من القرية على إثر الاجتياح إلى قلعة «دبي» ليلتقي الشّباب للتّفكير في المرحلة المقبلة، بعد أن وضع الأوراق الّتي كتبها مع منى عند الأستاذ سميح صافي، ومن ثمّ يستعدي سرحان الخائن المتعامل مع العدو سميح صافي، لينقطع السّرد، وتبدأ الرواية مع مجيء كمال الساهر إلى المدرسة.

السّرد والزمن في الرواية:

قال لوسينق:«إنّ الرّواية هي فنّ الزّمن؛ مثلها مثل الموسيقا؛ وذلك بالقياس إلى فنون الحيز كالرّسم والنّقش» الزّمن في هذه الرّواية محدّد، الأحداث مرتبطة بمرجعيّة واقعيّة، وإن أخذ السّياق الزّمني التّكسّر، لكنّ الزمن في الرّواية متواصل يمضي إلى كلّ الأحداث، « الزّمن المتواصل يمضي متواصلًا دون إمكان إفلاته من سلطان التوقف، ودون استحالة قبول الالتقاء أو الاستبدال».

الزّمن المتعاقب والمتشظّي:

في الرّواية برزت الدلالة الدّائريّة حيث التّوصيف الأكاديمي، لكن هل الزمن التواصلي يتناقض مع الدّائري؟ أسجّل رأيًا، ربّما يحتاج إلى نقاش، لكن، انطلاقًا من هذه المقولة الّتي تقول:« هو تعاقبي في حركته المتكرّرة؛ لأنّ بعضه يعقب بعضه، ولأنّ بعضه يعود على بعضه الآخر في حركة كأنّها لا تنقطع؛ ولا تنقطع، مثل زمن الفصول الأربعة الّتي تجعل الزّمن يتكرر في مظاهر متشابهة أو متفقة؛» ص204 مرتاض عالم المعرفة.

في بعض فصول رواية«طريق الشّمس» سيّما البداية رسمت الزمن المنقطع أو المتشظّي حيث الحدث يؤدّي غايته، ثمّ ينطلق إلى زمن آخر :«الزّمن المتشظّي ... حتّى إذا انتهى إلى غايته انقطع وتوقّف؛» ص.204.

السّرد جاء مكثّفًا، سار بناء لمقتضيات الحداثة في البنية الرّوائية.

الحوارات في الرّواية حملت استراحة للصّوت الواحد، لتنتقل إلى أصوات أخرى، وهذا غنى قدّمته الرّواية في السّرد.

هكذا، يكون الزّمن السّردي في الرّواية أيضًا هو زمن التّلقي: «هو زمن يأتي، في نهاية المطاف، مميزًا لسلسلة من المراحل الزمنيّة التي لا تزيد في حقيقتها عن اللحظات، ويتميز هذا الزمن بالطول، والتجدد بتجدد الأحوال والأشخاص؛ فهو زمن ذو صفة تعددية» ص212

– الأمكنة:

العلاقة بين المكان والزمان علاقة تشابكيّة، وإن تناولت السرد في البعد الزمني، يبقى «الزمكان» جدليّة فعليّة لمطلق عمل روائي، وأدبي.

الأمكنة في الرّواية عديدة، لأنّ المكان يحمل دلالة غنيّة، ويشير إلى الأحداث الّتي شكّلت فضاءات الرواية:

المدرسة: الجرح الحقيقي في هذه الرواية، فبدل أن تكون المدرسة هي عنوان المقاومة وبناء الوطن، كان العميل يخرج من بين مقاعدها، خائنًا، ومطاردًا لزملائه وزميلاته، دلالة قاتلة.

الطّبيعة: قدّمت صورة القرية في لبنان الجنوبي، وأضافت الشّاعرية من النّاحية الجمالية، وعبّرت عن مرجع واقعي لطبيعة خلّابة.

الجامعة اللّبنانيّة: للدّلالة على دورها التّاريخي في صناعة التّغيير، والأحلام الذّهبيّة، حيث الجامعة المكان ترمز إلى ريادة الحرف في لبنان، والازدهار العلمي، وللدلالة على دور الشّباب في رسم مشهد التّغيير، ففي اللبنانية تمّ التعرف على إبراهيم الّذي يمثّل النموذج الإسلامي.

الجامعة العربيّة: للدلالة على الحضور الأكاديمي العربي، والتّفاعل بين لبنان والمحيط، وتأكيد أهمّيّة لبنان في استقطاب الجامعات، وسجلت الجامعة مكانًا في الرّواية حيث العلاقات الاجتماعيّة، والعلميّة، أودت إلى فعل التأثير في الوعي، ففي هذه الجامعة نشأت علاقة بين كمال وحسان الشيوعي، وبيسان جبهة شعبية، فالعلاقة بين كما وبيسان كانت علاقة قرابة تعود للجد بعد التعرف على بعضهما بشكل وطيد.

قلعة دبي: المكان المفصل في حركة المقاومة تحت مسمّى«الشباب» التحضير والتفكير لمسار جديد يؤسس لوطن آخر، ورؤية للتحرير.

النّادي – المستوصف: دلالة على نشاط الشباب المنتسب لليسار، والشباب غير الطائفي، والشباب النقدي، والانخراط في العمل الاجتماعي الهادف إلى تطوير الإنسان في ظل سياسة الحرمان.

بيروت: المدينة الزاهرة

الريف: دلالة على الحرمان والفقر والمصير المهدد.

دور النشر: الموقع الرّيادي للطباعة والنشر والكتاب.

المسرح السينما: الفن والازدهار.

المؤتمرات الدولية: طبيعة الصراع وتعقيدات الملفات في طبيعة الصراع مع العدو الصهيوني.

من الواضح نحن أمام رواية أمكنة، فالأمكنة تخلق فضاءات دلالاتها كما ورد.

الشّخصيّات:

تتعدّد الشّخصيات في الرواية، حيث الشّخصيات قدّمت غنى للعمل الروائي، وخدمت الأهداف التي أرادها الكاتب، إذ حمّل الكاتب هذه الشّخصيات مسؤوليّة الموقف والدّور، وانطلق من البيئة اللبنانيّة في الواقع الجغرافي، والطابع الديمغرافي، ومسألة الطائفية.

كل شخصيّة من شخصيّات الرّواية تضمّنت طبيعة الواقع اللبناني، فشخصيّة كمال لعبت دورًا محوريًّا في تفاصيل الرواية، شخصيّة وطنيّة نقديّة، تحلم بمشروع شخصي بطابع وطني، وأسهم في بلورة فكرة العمل المقاوم، وانطلقت المقاومة «الشّباب» مع العمل الفلسطيني، لأجل التّحرير، والصراع الذي بدأ مع الاحتلال والعملاء، لتكون منى الرشيد الشّخصية الرئيسة مع كمال على الرغم من الاختلاف المذهبي، فكان الحب أقوى، وبلوغ طريق الحياة هو الهدف الأسمى، على الرغم من كل المشاكل والاعتراضات.

سرحان: تمثّل الشخصية الخائنة، الهاتكة للقيم، والمنتقم من زملائه، ومحاولات إذلاله من باب التشفي، والانتقام، شخصية رخيصة.

سميح صافي: المربي والفلاح والصامد القابض على جمر الحقيقة في وجه المخابرات والعملاء.

الشّيخ علي الحاج يوسف: نموذج لشخصيّة دينيّة تحمل فرادة في السلوك العم: قارئ قرآن، كاتب أغان للأعراس، وراو لقصة تاريخيّة من قصص رواية» طريق الشّمس».

مارون: المنتسب لمنظمة العمل الشيوعي والحامل لأفكار ثوريّة.

سامي: الصحافي الماروني اليساري

أسعد: الأرثوذكسي الذي يعود في جذوره كما روى إلى حوران

أبو شريف محمود الكسلان وغيرهما، إنها رواية شخصيات، ناهيك عن مخابرات الجيش، والعدو الصّهيوني ومكاتبه البوليسية المرتبطة بالعملاء.

يمكن القول إنّ تعدد الشّخصيات في هذه الرّواية جاء انسجامًا مع تعدد الأهواء والمذاهب، والأفكار، والثقافات، والعادات ضمن البيئة اللبنانيّة الواحدة، لقد تعامل الكاتب مع شخصيّات روايته تعامل الواقع الحي، لم يسقط الأحلام، أو يقدّم ما يخالف

المرجع الحي، فالتاريخ، والوقائع تثبت مرارة تلك الآونة الزمنية من تاريخ لبنان، لا، باتت هذه القرية الحدوديّة في لبنان الجنوبي هي نسخة أصلية لكلّ منطقة وطأها العدو، وإن جسدت الشّخصيتان: كمال ومنى محور العمل في الرواية، فهذا ينسجم مع محوريّة البطولة في الأعمال الأدبيّة أو القصصية، « إذ لا يضطرم الصّراع العنيف إلا بوجود شخصيّة، أو شخصيات تتصارع فيما بينها داخل العمل السّردي. من أجل كل ذلك كنا نلفي كثيرًا من الروائيين يركزون على عبقريتهم وذكائهم على رسم ملامح الشّخصيّة» ص86 في نظرية المعرفة مرتاض.

هذا يسجل للكاتب عبدالمجيد زراقط، وقد أضاف قيمة كبيرة إذ سمح لشخصياته أن تكون المدماك في صناعة هذه الرواية، وأتاح لمعظم الشخصيات أن تدلو برأيها، وقدّم لها مساحة الحضور، باستثناء شخصيّة سرحان ذيب العميل، لم يسمح له بالبوح، ليقدم موقفه، وأسباب تعامله، فهل مارس الكاتب القمع؟ أم أراد أن ينبذ العمالة من خلال إطلاق الحكم النهائي على كل عميل خان الوطن؟ هذا الجواب يملكه الكاتب نفسه.

الرّاوي:

« الرّوائي شخص يعيش في الحياة، وهو الّذي يخلق العالم التخيّلي، أمّا الرّاوي فمعطى نصّي يبتدعه الرّوائي ليسرد، ويتكلم على الحادثة – الحوادث، وعلى الشّخصيات التي تنجزها؛ إذًا، هو جزء من العالم التّخيّلي. وإذا كان الرّاوي هو من يتكلم في النّص السردي، فإنّ الشّخصيّات هي من يفعل. ومن ثمّ، هي كائنات ورقيّة يبتدعها الروائي لتؤدي أدوارًا مختلفة» ص61 د. نبيل أيوب – كتاب النقد النصي .

في هذه الرّواية: تعدد الرّواة، ممّا يجعل الأصوات تحمل منظورات رائية تروي من خلالها رؤيتها، فكل راو يروي من منظوره، كمال روى من منظوره، أسعد، سميح الصّافي، وغيرهم، وهذا من شأنه أن يجعل القارئ قبالة منظورات متعددة، وقبالة آراء وأفكار عديدة، وبدوره أن يستنتج الأبعاد والدلالات.

إذًا، الرّاوي في سياق السرد لم ينحصر في شخصيتين رئيستين، أو شخصية محددة، بل، تضمّنت الرواية حكايات فرعية يسردها راو آخر، وأيضًا تضمنت رواية طريق الشمس أكثر من قصّة فرعيّة لكلّ منها راو وهذا ما يطلق عليه» التّضمين السّردي». ص63 تحليل الخطاب.

ترك الكاتب أبطال روايته وشخصياتها تتحرك في فضاءاتها ، وإن ضمر في قرارة ذاته مواقفه الناتجة عن تجارب عاشها، لكنّه تخفّى وراء آرائه بذكاء المبدع، والمتمكن من التأثير في المتلقي، ليحمل أفكاره الوطنيّة حيث ينبغي أن تصل، ومارس حكمه المبرم على شخصية حسان لأنّ الخيانة لا تلقى سوى العقاب.

اللّغة:

الحديث عن لغة الرّواية من الأولويّة، لأنّ اللّغة تلعب الدّور المهم في عمليّة التّفاعل بين الكاتب والمتلقيّ، لغة غير معقّدة، واضحة، لم تتعمّد التّكلّف، وجاءت موظّفة في خدمة الأحداث، والأفكار، وفي خدمة العمل السّردي، جاء الجانب الأدبي الإبداعي على درجة عالية، تقترب إلى الشّعريّة لاسيّما الحوارات بين كمال ومنى، والاستشهادات، فاللغة في العمل السّردي، في المذهب النّقدي«أن الكاتب الروائي عليه أن يستعمل جملة من المستويات اللغوية التي تناسب أوضاع الشّخصيات الثقافية والاجتماعية والفكرية» ص120 مرتاض.

في هذا السّياق، جاءت مستويات اللغة في رواية «طريق الشمس» متناسبة وطبيعة الشّخصيات، فجلال الدين السيوطي نهض بهذه التجربة اللغوية، فاتخذ لكلّ شخصية اللغة الوظيفية، وهذا دأب د. عبدالمجيد زراقط مع حفاظه على سلامة اللغة.

اختيار لغة الرواية ساعد على التفاعل مع المتلقي، حيث المتلقي أيضًا ينتسب إلى مستويات مختلفة في ذائقته، ولغته، كما جاءت غنيّة بالصور، والتعابير الأدبية، والبيانية في أماكن عديدة في الطّابع الوصفي وهذا ما يبرره الطّبيعة السّاحرة للقرية، والجغرافيا اللبنانيّة، لتأتي اللغة منسجمة مع سحر الطّبيعة، وجمال المدن اللبنانية، وروعة أحاسيس كمال ومنى الشاعرية في البحث عن طريق الحياة، طريق العشق، طريق الشّمس، والهدف الأسمى عند الروائي توظيف اللغة لأهداف الرّواية.

تجدر الإشارة إلى الأبعاد الفكريّة الّتي تتضمنها الرواية، وإلى تصوير محطة زمنية زاخرة بالتحولات الكبرى في الوطن، بروز العمل السياسي الحزبي، اليسار بكل مسمياته، والصراع مع الإقطاع السياسي، والمخابرات، والعدو، والعملاء، فالمرحلة الزمنية في الرواية كانت تحفل بغنى الأفكار، والأيديولوجيات، وعرضت لنشوء عمل المقاومة بالعفوية الأولى تحت اسم «الشباب» وتناول آفة الواقع اللبناني المأزوم بالطّائفية .

هي رواية أفكار ومعتقدات، وصراعات مع العادات والتقاليد، ومع العدو، ومع الأفكار، وهنا، نستطيع أن نقرأ أهداف الكاتب الّذي عاش تلك المرحلة بكل تفاصيلها، وكان كاتبًا، ناشطًا في ميادين الفكر والثقافة، وقلمًا في الصحف والمجلات، مما يعني أنه حمل رؤيته، ونقل تجربة لبنانية عاش أحداثها ويومياتها.

رواية» طريق الشّمس» لأستاذنا أستاذ الأجيال أضافت للمكتبة العربية ما يستحق القراءة، والقراءة النّقديّة تغني، وهذا ما علّمنا إياه الدكتور عبدالمجيد زراقط، رواية «طريق الشّمس» هي رواية كل إنسان يعشق الحرية، ويعتمل في داخله الحب، حيث الاشتعال يؤجّج المستحيل في لغة العشق، حينها يستحق الحب الحياة، وإن كان الصّراع مدويًّا، وانخرط فيه الأبعاد المتعددة، لابدّ من حلم يعانق الشّمس، وإن تأخر فعل العناق.